مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

الشعر الشعبي العراقي وتجربة عريان السيد خلف بين الإيقاع الكلاسيكي والتأثير الاجتماعي والسياسي

م.م. نجم عبد فندي [1]
[1] الجهة: المديرية العامة لتربية ميسان – العراق
najmabd597@gmail.com

الملخص. يركز هذا البحث على تجربة الشاعر الشعبي العراقي عريان السيد خلف، الذي يتميز بمزج إبداعي بين الإيقاع الكلاسيكي والنظم الشعبي. يعكس شعره الواقع الاجتماعي والسياسي المتغير في العراق، من خلال لغة قريبة من الجمهور، ومفردات تنتمي إلى بيئته الشعبية. يوضح البحث كيف استخدم عريان الوزن والقافية التقليدية ليعبر عن قضايا سياسية واجتماعية، دون الوقوع في التصريحات الصريحة، مما ساعد على تجاوز رقابة النظام وتوسيع دائرة تأثيره. كما يبرز دور شعره في تعزيز الوعي المجتمعي ومقاومة الظلم، خاصة في فترات الحصار والقمع السياسي. تُظهر الدراسة أيضًا أهمية شعر عريان كجسر بين الحداثة والتقليد في الشعر الشعبي العراقي، مما يجعل تجربته متميزة في المشهد الأدبي العراقي.

الكلمات المفتاحية: الشعر الشعبي العراقي، عريان السيد خلف، الإيقاع الكلاسيكي، التعبير السياسي، الشعر الشعبي، الحداثة، الرقابة

Abstract. This research focuses on the poetic journey of Iraqi folk poet Aryan Al-Sayyid Khalaf, distinguished by his creative blend of classical rhythm and folk versification. His poetry reflects Iraq's shifting social and political realities through language accessible to the public, using vocabulary rooted in his popular environment. The study demonstrates how Aryan employed traditional meter and rhyme

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

to express political and social issues subtly, avoiding direct declarations to bypass censorship and widen his influence. It also highlights his poetry's role in raising social awareness and resisting oppression, especially during times of siege and political repression. The study underscores Aryan's importance as a bridge between modernity and tradition in Iraqi folk poetry, making his work a unique contribution to Iraq's literary landscape.

Keywords: Iraqi Folk Poetry, Aryan Al-Sayyid Khalaf, Classical Rhythm, Political Expression, Folk Poetry, Modernity, Censorship

المقدمة:

يُعد الشعر الشعبي العراقي من أهم مظاهر التعبير الفني والثقافي في المجتمع العراقي، حيث يعكس هموم الناس وتطلعاتهم ومآسيهم، كما يربط بين الماضي والحاضر عبر لغة بسيطة وغنية في الوقت نفسه. من بين أبرز الأصوات التي أثرت هذا الفن ونقلته إلى آفاق جديدة هو الشاعر عريان السيد خلف، الذي مزج بين الإيقاع الكلاسيكي والنظم الشعبي، وأدخل إلى نصوصه عمقًا اجتماعيًا وسياسيًا عميقًا. شكل شعره مرآة صادقة لعصره، حيث جمع بين الجمالية الفنية والالتزام بالقضايا الوطنية والإنسانية، مما جعله يحظى بقبول واسع داخل العراق وخارجه. من خلال دراسة تجربته الشعرية، يمكن فهم كيف استطاع أن يرسخ نمطًا خاصًا في الشعر الشعبي العراقي، وما دوره في توثيق معاناة الإنسان العراقي بين الظلم السياسي والحياة الاجتماعية اليومية.

أهمية البحث:

تبرز أهمية هذا البحث في كونه يعالج تجربة شاعرية فريدة تجمع بين النمط الكلاسيكي والإيقاع الشعبي في سياق اجتماعي وسياسي حساس، ما يجعلها نموذجًا للدراسة في آداب اللغة العربية، خصوصًا في الشعر الشعبي. يساهم البحث في توثيق جانب من تاريخ الأدب العراقي الحديث، ويُظهر كيف يمكن للشعر الشعبي أن يكون صوتًا شعبيًا متمسكًا بجذوره التراثية، وفي نفس الوقت قادرًا على مخاطبة قضايا العصر. إضافة إلى ذلك، يسلط البحث الضوء على تجربة عريان السيد خلف التي لم تحظ بالاهتمام الكافي مقارنةً بأقرانه من الشعراء، مما يسد فجوة في الدراسات الأدبية حول الشعر الشعبي العراقي.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في نقص الدراسات التحليلية التي تتناول تجربة عريان السيد خلف من زاوية الجمع بين الإيقاع الكلاسيكي والشعر الشعبي، وتأثير هذا المزج في التعبير عن القضايا الاجتماعية والسياسية في العراق. كذلك، يعاني الشعر الشعبي عموماً من ضعف التوثيق الأكاديمي، مما يحول دون فهم عميق لأدواره الثقافية والسياسية، خصوصًا في ظل ظروف قمعية مرت بها البلاد. السؤال المحوري هو: كيف وظّف عريان السيد خلف الإيقاع الكلاسيكي ضمن الشعر الشعبي لخدمة قضايا اجتماعية وسياسية، وما أثر ذلك على انتشار وتأثير شعره؟

هدف البحث:

يهدف البحث إلى دراسة تجربة عريان السيد خلف الشعرية من خلال تحليل إيقاعاته الشعرية وأساليبه الفنية.

الكشف عن العلاقة بين النمط الكلاسيكي والإيقاع الشعبي في شعره.

توضيح كيف عبّر شعره عن القضايا الاجتماعية والسياسية في العراق.

إبراز أهمية شعره في السياق الثقافي العراقي، ودوره في توثيق معاناة الإنسان العراقي.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، حيث يتم وصف وتحليل نماذج مختارة من شعر عريان السيد خلف لفهم بنيتها الإيقاعية والأسلوبية، ومن ثم دراسة دلالاتها الاجتماعية والسياسية. كما يستخدم المنهج التاريخي لفهم السياق الذي كتب فيه الشاعر قصائده، والمنهج النقدي لفحص علاقة النص بالجمهور وتأثيره داخل المجتمع العراقي. بالإضافة إلى ذلك، يستعين البحث بالمقارنات مع شعراء معاصرين، خاصة في سياق التجربة العراقية والشعر الشعبي، لبيان خصوصية تجربة عريان.

الشاعر

وُلد الشاعر عريان السيّد خلف في جنوب العراق، بمحافظة ذي قار، وتحديداً في ناحية قلعة سكر الواقعة على ضفاف نهر الغرّاف، وهو أحد فروع نهر دجلة. وقد اختلفت الآراء حول سنة ميلاده؛ فبعض المصادر أشارت إلى أنّ ولادته كانت عام ١٩٤٠ بينما كُتب على شاهد قبره أنّه وُلد في ١١ حزيران ١٩٤٥ وهو ما أكّده نجله خلدون أيضاً

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

أما اسمه "عريان"، فقد ارتبط بمأساة أسرية مريرة؛ إذ أنجب والداه قبله طفلين توفيا بوقت مبكر، أحدهما لم يتجاوز عمره ستة أشهر، والآخر سنة ونصف. وعندما وُلد عريان، دبّ الخوف واليأس في قلب والدته من فقدانه أيضاً، فلفّته بقطعة قماش دون أن تمنحه اسماً، وبقي "عرياناً" طوال تلك الفترة، مما دفع والديه لاحقاً لتسميته بهذا الاسم.

نشأ عريان في بيئة ريفية بقلعة سكر، حيث قضى طفولته وصباه. وبعد ذلك انتقلت أسرته إلى قضاء الشطرة، وكان والده تاجراً للقمح مما وفّر للعائلة وضعاً مالياً جيداً في البداية، حتى أنّ عريان كان مميّزاً بين أقرانه في الملبس خلال طفولته. غير أنّ الأوضاع تغيّرت لاحقاً نتيجة خسائر والده في التجارة، وزاد الأمر سوءاً عندما أُصيبت والدته بالشلل. (صباح ذي قار، 2018: ص12).

وعند بلوغه التاسعة، واجه عريان صدمة وفاة والدته، حيث نقلها من الشطرة إلى الناصرية، وهناك توفيت. وبقي الطفل حائراً في شوارع الناصرية لا يعرف كيف يوفّر أجرة نقل جثمانها، إذ لم يكن يملك سوى دينار واحد فقط، وهو مبلغ غير كافٍ. وصادف آنذاك شريكاً قديماً لوالده فسأله عن هويته، وبعد أن تعرّف عليه أعطاه أحد عشر ديناراً، فاستطاع بواسطتها أن يتكفّل بمصاريف الدفن. (خلدون ابن عريان السيد خلف، 2023: ص2)

وبسبب هذه الظروف، اضطرت العائلة للانتقال إلى محافظة الديوانية، حيث افتتح والده متجراً صغيراً للعطور. وهناك التحق عريان بالمدرسة الابتدائية المسماة بـ "التهذيب". وخلال فصل الشتاء، كانت مديرية التربية توزّع الملابس على التلاميذ الفقراء، وكان عريان واحداً منهم، لكنه كان يُخفي فقره ولا يُظهر حاجته.

توجه عريان السيّد خلف إلى إدارة المدرسة ليطلب ما حصل عليه زملاؤه من مساعدات، فرفضت الإدارة ذلك، وضربه أحد المعلمين على يده، إلا أن ضربة المعلم لم تُصبه. حينها التفت المدير إلى عريان وسأله: "هل أنت سيد؟"، فأجاب عريان: "نعم"، وانهمرت دموعه. طلب المدير من عريان أن يغفر للمعلم، فاشترط عريان أن يحصل على ما حصل عليه زملاؤه، فاستجاب له المدير ومنحه ما يريد. وعند عودته إلى المنزل، كان يردد هتافاً متجهاً نحو محل العطور حيث كان الهتاف يقول: "من جدّ وجد، ومن زرع حصد"

ويجدر بالذكر أن عريان وُلد متجذراً في تلك الأرض الطيبة التي تنهل من عذوبة نهر الفرات، وتنمو فيها الحقول والمراعي، وتعلو بيوت الطين على أنين الأبوزيات والنواعير، وتستيقظ على صياح الديوك ورائحة القهوة وصهيل الشمس في المراعي. هنا بدأ عريان يرتّل قصائده على إيقاع خرير الفرات

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

وأغانٍ متصلة بالحصاد وخطى الفلاحين الجنوبيين الفارعة الطول، ليشق طريقه فيما بعد إلى قلوب الناس (السامرائي، 2013: ص11)

ويضاف إلى ذلك أن عريان قضى حياته في عدة مدن، منها الفجر، والشطرة، وسوق الشيوخ، غير أنه أمضى طفولته على ضفاف نهر الغرّاف، حيث تعلق به حباً شديداً، وهو ما يعكسه في أبياته الشعرية، مثل قوله:

"لو ذيچ الليالي تعود...
ولو شطنه الجزر يومين خني اب ويرد صيهود
چنت اصرخ يهل الغراف ما تغسل گلوب السود"

عمل عريان في الصحافة العراقية، وفي التلفزيون والإذاعة، وحصل على جوائز وشهادات، منها وسام اليرموك من جامعة اليرموك بالأردن، وشهادة دبلوم في الصحافة. كما أنه عضو في نقابة الصحفيين العراقيين واتحاد الصحفيين العرب ومنظمة الصحافة العالمية، وعضو في الحزب الشيوعي العراقي، وعضو في جمعية الشعراء الشعبيين العراقيين.

ومن الجدير بالذكر أن أول ظهور لعريان كان في برنامج "المواهب الشابة" الذي يقدمه الشاعر سالم خالص أبو ضاري عام ١٩٦٧، وكان في تلك الفترة يعمل في معمل الشابي لإنتاج المشروبات الغازية. وقبل ذلك بقليل انتمى إلى الحزب الشيوعي، الذي برز نجمه وسط القوى السياسية المختلفة، وجذب إليه أبناء الفقراء والشرائح الكادحة

عرف عريان السيّد خلف الوطن منذ صغره، وكان حين يلعب يسقط أحياناً على الأرض فيتملأ أنفه بالتراب، ويتذوق ملحه ويشم رائحته عند هطول المطر. هذا الشعور جعله يحس أن الأرض جزءٌ منه، ولذلك لم يستطع الفراق عنها ولم يقتنع بالرحيل مهما كان الثمن

بدأ اهتمامه بالشؤون السياسية مبكراً، واهتم بالقراءة والاطلاع على القضايا السياسية حينما تدهورت أوضاع أسرته المادية وتوفيت والدته، ما أدى إلى انتقالهم من الشطرة إلى الرفاعي، ثم إلى الديوانية، قبل أن يعودوا مجدداً إلى الشطرة. كل هذه الظروف ربما ساعدته على الانخراط في الشؤون السياسية

في فترة العهد الملكي بالعراق، شارك عريان في العديد من التظاهرات مع الكبار، حيث تعرّض للمضايقات والضرب والقمع أما في عهد عبد الكريم قاسم، فقد خفتت هذه المضايقات ووجد نوع من الحرية، وظهر وجود تظاهرات مؤيدة للقضايا الوطنية والعربية، بما فيها قضية فلسطين، فتبلورت شخصية عريان وموقفه الشعري، حيث اقترنت إبداعاته الشعرية بنضاله السياسي الوطني والديمقراطي.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

منذ وقت مبكر انضم إلى صفوف الحزب الشيوعي العراقي، ليصبح من الأصوات الشعرية التي تعبر عن قيم النضال من أجل الفقراء والمستضعفين والمهمشين وإقامة مجتمع مبني على المساواة والعدالة الاجتماعية. وقد دفع ثمن انتمائه السياسي، حيث تعرض للسجن بعد انقلاب شباط الأسود عام ١٩٦٣، واستمر إرهاب الدكتاتورية في الفترة ١٩٧٨–١٩٧٩، حيث اعتقل وعُذّب في دوائر الأمن العامة كما حدث لعشرات الآلاف من الشيوعيين والديمقراطيين (حمزة، 2018: ص9)

إلى جانب انتمائه الحزبي، شارك عريان في العديد من الأمسيات الشعرية، حيث كان يقرأ فيها قصائد يمجد فيها الحزب الشيوعي العراقي والقوى الوطنية المناضلة، ويشير إلى ظلم البعثيين

ابتعد عن النشاط السياسي لسنوات عديدة حفاظاً على حياة عائلته بعد خروجه من آخر اعتقال في عهد النظام البعثي، ومع اندلاع الحرب العراقية–الإيرانية أصبح الخطر شديداً، لذلك تجنب الاقتراب من أي تنظيم حزبي، خاصة أن الجبهة الوطنية كانت مشتتة، فبعض أعضائها سافر، وبعضهم حُكم عليه بالإعدام، والبعض تعرّض للتعذيب النفسي والجسدي

في ١١ نيسان ٢٠٠٣، بعد سقوط الدكتاتورية، تقدمت إليه عدة قوى سياسية منها: حزب الوطنيين الأحرار، وحزب الوطني التقدمي، وحزب الضباط الأحرار، لكنه لم ينظم إلى أي منها وفي ١٣ نيسان ٢٠٠٣، وصل وفد من الحزب الشيوعي العراقي برئاسة جاسم الحلفي، ومعه شخصيات شيوعية أخرى مثل فارس كريم، بسام محي، مالزم هشام، شاكر الدجيلي، علي إبراهيم، عمار صفاء الحافظ، رحمن غريب، أبو كرنفال، عضيد شلتاغ. وانضم إليهم فوراً كل من حيدر شيخ علي، حيدر مثنى، وسمير الساعدي، حيث ركزوا جهودهم على إعادة بناء تنظيمات الحزب وفتح مقراته في العاصمة بعد سنوات من حظر نشاطه وملاحقة كوادره من قبل أجهزة النظام الدكتاتوري الذي مارس أبشع أشكال القمع ضد الأحزاب والقوى والشخصيات المعارضة له (مجلة حراس الوطن، 1990: ص10)

كانوا يتساءلون: "كيف يبدأون؟"، خاصة وأن أغلب الشخصيات الشيوعية المعروفة كانت في جبال كردستان تخوض الكفاح المسلح ضد الدكتاتورية، بعد أن غادروا بغداد في نهاية السبعينيات، متسائلين عن كيفية إعادة بناء تنظيمات الحزب في تلك الظروف الصعبة.

بعد سقوط الدكتاتورية ووسط الفوضى العارمة التي سادت البلاد، واجهت القوى الشيوعية مهمة صعبة في تنظيم أول نشاط علني لها في بغداد قرروا حينها التواصل مع الشخصيات الشيوعية البارزة، فوقع الاختيار أولاً على الشاعر الكبير عريان السيّد خلف والفنانة المتميزة زكية خليفة. اتصل فارس كريم بالفنانة زكية خليفة، التي استجابت فوراً، فيما اتصل جاسم الحلفي بالشاعر عريان السيّد خلف

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

وأبلغه بأنه قد انضم مع مجموعة من الشخصيات الشيوعية، بينهم كريم الربيعي وشخص يدعى حمودي وأبو إخلاص، وقد أعدوا بياناً باسم الحزب للإعلان عن عودة نشاطه، وسلموا البيان إلى جاسم الحلفي لتقرر قيادة الحزب نشره. وأخبرهم الحلفي بالخطة المعتمدة، وهي إعلان النشاط العلني للحزب وفتح المقر الرئيسي عبر نشاط جماهيري، رغم ندرة وسائل الاتصال والنقل آنذاك. لذلك، اعتمدوا فكرة إشعار كل من يلتقون به بأهمية حضور لقاء شخصي مع قيادة الحزب مع تحديد موعد واحد للجميع. وكان لعريان نشاط استثنائي في تحشيد أصدقائه ومعارفه. وفي صباح يوم ٢٠ نيسان ٢٠٠٣، ظهرت الفرحة على وجوه الشيوعيين والشيوعيات المدعوين، بعد اكتشافهم أن موعد اللقاء كان حاشداً جماهيرياً، وهو أول نشاط علني ينظمه الحزب في العراق بعد سقوط الدكتاتورية، وهو الحلم الذي انتظره الذين يتطلعون إلى الحرية والعطاء (العاني، 2020: ص7)

لم يتردد عريان السيّد خلف، الذي كان أحد رموز التجمع في ذلك اليوم، عن قراءة شعر حمزة الحلفي، فيما أطرب الفنان حسن بريسم الجميع بصوته المعبر عن أوجاع العراقيين. أما الفنانة زكية خليفة، فتلقت مهمة إلقاء كلمة الحزب في ساحة الفردوس، وقدمتها بحماس نادر وسط هتافات الجماهير: "العراق سالم سالم.. على عناد كل غاشم، سنمضي سنمضي إلى ما نريد، وطن حر وشعب سعيد، وحدة وحدة وطنية، لا للاحتلال والفاشية".

تحركت حشود الجماهير يتقدمهم أعضاء قيادة الحزب، وفي وسطهم عريان السيّد خلف وزكية خليفة نحو مبنى مقر اللجنة المركزية للحزب في ساحة الأندلس، ليكون أول مكان تُرفع فيه رايات الحزب الحمراء في بغداد، هكذا كان عريان السيّد خلف حاضراً في انطلاقة شيوعية جديدة للنضال داخل الوطن (الحلفي، 2018: ص11)

في السنوات الأخيرة، ساءت الحالة النفسية لعريان السيّد خلف بسبب الإحباطات السياسية التي مر بها، وتهالك الكتل السياسية والأحزاب على السلطة، واستمرار معاناة المواطنين، حيث بقي الفقير على حاله، ولم تتحقق العدالة الاجتماعية. كما أن الاحتلال الأمريكي للعراق وقتل العديد من رفاقه، وبعضهم تعرض للتهديد، كل ذلك لم يتغير بعد الاحتلال الأمريكي، ولم تفعل القوى السياسية شيئاً جيداً للعراق. فالوعود الأمريكية كانت كلها كاذبة، وكل هذه الأسباب أدت إلى إحباطه ووصوله إلى حالة اليأس من تغيير وضع العراق

ظل عريان ملتزماً بمقر حزبه الشيوعي في ساحة الأندلس حتى آخر يوم من حياته، وكان زوار القاعة الثقافية يتعرفون على الطاولة التي جلس عليها بعد عام ٢٠٠٣، حيث يتزاحم المئات من الشباب

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

لالتقاط الصور التذكارية معه، تعبيراً عن محبة الناس له وشعبيته التي فاقت ما حصله من مناصب سياسية في العراق. وقد أشار إلى ذلك في إحدى قصائده، مستهجناً السياسيين والمسؤولين المحاطين بالحمايات المدرعة والسيارات المصفحة:

"إذا امر بدرب تتزاحم الناس عليه ويتعب الياخذ تصاوير"

تعرض عريان السيّد خلف للعديد من الاعتقالات نتيجة كونه أحد الأصوات المعبرة عن الحزب الشيوعي العراقي وقضاياه، خاصة قضية النضال من أجل الفقراء والمستضعفين والمهمشين، وإقامة مجتمع يسوده المساواة والعدالة الاجتماعية، وقد دفع ثمن انتمائه وقناعاته السياسية

بعد انقلاب شباط الأسود عام ١٩٦٣، اعتُقل عريان في سجن نقرة السلمان، وهو من أشد السجون التابعة لسلطة البعث في العراق، حيث تعرّض للتعذيب المبالغ فيه. وبما أن السجن كان في منطقة صحراوية قاسية بين الحدود العراقية والسعودية، كان عريان أصغر السجناء السياسيين، وهناك التقى بالعديد من الشخصيات السياسية، أبرزهم الشاعر الكبير مظفر عبد المجيد النواب، وقد أسهمت معاناة السجن في تفجير طاقته الشعرية (الحلفي، 2018: ص7)

وبسبب صغر سنه، كان عريان يحظى ببعض الامتيازات في الطعام والنوم مقارنة ببقية السجناء، حيث كان يأكل وقتما شاء وينام وقتما أراد، على عكس الآخرين الذين كانت أوقاتهم محددة

سبب اعتقال عريان كان انضمامه إلى الحزب الشيوعي، الذي كان ممنوعاً آنذاك، فظل محتجزاً حتى أفرج عنه البعثيون عام ١٩٦٨ بعد محاولتهم عقد صفقة سياسية لكسب الشيوعيين إلى جانبهم وفي عام ١٩٧١، تعرض للاعتقال لفترة قصيرة

أما الاعتقال الأخير، فكان بعد انهيار الجبهة الوطنية عام ١٩٧٨، حيث اعتُقل على يد حزب البعث في عهد رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر، وتعرّض خلاله لتعذيب مرعب، من ربطه بـ"البنكة" وتعليقه لفترة، إلى التعذيب بالسجائر المحترقة وضربه بالحديد على ظهره، وبقيت آثار الضرب على ظهره وآثار الحرق على لسانه. كما تعرض للضرب على رأسه مما أدى إلى جرح لسانه، وبقي الأثر بعد معالجته

تم الإفراج عن عريان السيّد خلف دون أن يكشف أي معلومات عن رفاقه في الخلايا الشيوعية، مما أربك البعثيين، فبقيت المعلومات التي قدّمها مضللة ولم يُثبت عليه شيء، فخرج عام ١٩٧٩

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

بعد هذا الاعتقال الأخير، ابتعد عريان عن الأنشطة السياسية خلال حكم النظام البعثي، وخاصة بعد بدء الحرب العراقية–الإيرانية، حيث أصبح الإعدام سهلاً لدى أجهزة الأمن، فحرص على حماية حياته وحياة عائلته وأطفاله، وابتعد عن الحزب والتنظيم الحزبي، خاصة أن الجبهة الوطنية كانت مشتتة، فمنهم من سافر، ومنهم من حُكم عليه بالإعدام، ومنهم من تعرض للتعذيب الشديد وأصيب بخلل عقلي بسبب الضرب والإهانات

خلال الأعوام ١٩٨٩–١٩٧٩، غاب عريان السيّد خلف تماماً عن المشهد العام، ولم ينشر أو يظهر، مما أدى إلى اعتقاد بعض الناس أنه توفي، واعتقد آخرون أنه اعتُقل أو سافر خارج العراق

لبداية التعرف على مسيرة عريان السيّد خلف الشعرية، يمكن العودة إلى أيامه في المدرسة الابتدائية، حيث كان يتعلم من والده وأخته الكبرى. كانت جلساتهم في المساء عبارة عن جلسات شعرية (سهرات) في المضيف، وكان عريان يحب الجلوس بجانب والده. وإلى جانب ذلك، كانت البنادق توضع تحت الفراش، وكان عريان يتلمس الحديد البارد ويغفو على رجل والده بينما يغطيه الوالد بعبائته، ليجد نفسه في الصباح في فراشه. كل هذه التفاصيل كانت حافزاً أساسياً لتنمية موهبته الشعرية، وكان الدافع الأهم في عام ١٩٥٥ حين حضر حفل زفاف في مدينته، حيث صعد مع الأطفال على الحائط وسمع البيت الشعري التالي: (رومايا، 2019: ص1)

بطلت ماكوليش من جرحي احاه
جي دورت ولكيت عد شامت دواه

حفظ عريان هذا البيت وذهب به إلى والده كهدية، فقام الأب بمكافأته بكمية من الطعام (القمح أو الشعير) ليذهب مع العطار المتجول، وكلما أحضر بيتاً شعرياً جديداً، كان يحصل على مكافأته. ومن خارج المدرسة، طلبت منه امرأة كتابة رسالة، وختمها بيتاً شعرياً:

عمدة ارد اتيه الروح وبعاصف الريح
بلجن على نزل هواي من يصفن تطيح

وحفظه أيضاً. عندما التحق عريان بالمتوسطة، بدأ الكتابة من خلال الموال والأبوذيات، وازدهرت موهبته بفضل الشاعر عبد الأمير الفتلاوي الذي كان ديوانه مرجعاً له. كانت قصائده حسينية وغزلية، وقد شجع والده هذه القراءة لما لها من أثر عاطفي، حيث كان ينهار بالبكاء ويمنحه الحافز لمواصلة الكتابة. ومن أبرز المحطات التي عززت تطوره الشعري، لقاءه بالشاعر الكبير مظفر النواب أثناء اعتقال والده عام ١٩٦٣، مما أسهم في صقل موهبته

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

حب الوطن عند عريان كان أسمى وأعظم من كل التفاصيل الأخرى، وقد عبّر عن هذا الشعور في أبيات من قصيدته "الشاهد":

بعد بيه الصبر واجد..
يشب بيدي المكابر نار تلهم باث..
يگضيني الشرار وطبعي اظل بارد..
مگالب والليالي تريد وسعة بال..
وهموم العلي.. ما مرن بواحد..
كفاني اترفعت عن چلمة الياحيف..
وسهمي شما نگص من هالوكت زايد
ولا صاحب وفي لعند الضنك ينشد..
بس مجمع عجارب.. ويل للغفلان..
تتناوبه ابسمها.. وبالعجل تلبد..
دنيهوالوحتني..امالوحالسرحان
غشتنيبهداها..وباكتالواحد**

إنّ موضوع الحيف والشكوى من الزمن والآخر كان حاضراً في شعر الكثير من الشعراء، خصوصاً المبدعين والبارزين منهم، كونه موضوعاً شعرياً قائماً بذاته. فهو يعبّر عن المفارقة التي يعيشها الإنسان المبدع في تعامله مع الآخرين، أولئك الذين وصفهم سارتر بقوله: "الآخرون هم الجحيم"، إذ يحاولون الوقوف بوجه تدفق النهر الإنساني الرقراق

وفي إطار حب الوطن كتب عريان السيد خلف قصيدة بعنوان "گلبي على وطني"، افتتحها بمقطعٍ فصيح جاء فيه:

ياوطني الموشوم بالقنابل
ياوطن الأشجار والأنهار والجداول
ياوطن الأديان والإيمان والتساهل
ياوطن الأشعار والإصرار والتفاؤل
ياوطن الأيتام والأرامل
ياوطني المقتول والمقاتل

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

يظهر في هذه الأبيات استغراب الشاعر ودهشته مما يجري في بلدٍ بحجم العراق؛ ذلك الوطن الذي كان على مدى التاريخ مهد الحضارات والأنهار والأديان والمقدسات، لكنه في الحاضر غارق في الإرهاب والقتل والفواجع وما خلّفه من أيتام وأرامل.

وعند انتهاء المقطع الأول المكتوب بالفصحى، والمتميز بجزالته وبلاغته، ينتقل النص الشعري إلى اللهجة الشعبية، لتتهيأ بذلك فاعليته الحقيقية. إذ يشكّل هذا الانتقال منعطفاً لغوياً يعمّق القصيدة، ويمنحها حرارة المفردة العراقية اليومية ووهج الجملة الشعبية التي تُكسب النص بُعده الفني والشعري الأصيل

انزف صبر يا وطن بيه الك مية جرح
كلما يهيد الالم بجروحي اذر الملح
افديك يا موطني لو مية مرة انذبح
واشرب نخب هيبتك من المسة للصبح
مثلك محب ما الي مثلك جرح ما يصح
يا رمح بضمايري لا خطة ولا صابني
قلبي على وطني

يوضّح عريان في الأبيات السابقة استعداده الكامل لأن يفدي وطنه بروحه حتى لو قُتل مئة مرة كما يُبرز شدة حبه للعراق في قوله:

مثلك محب ما إلي، ومثلك جرح ما يصح، يا رمح بضمايري لا خطه ولا صابني

حيث تتكرر عبارة «گلبي على وطني» في مقاطع متعددة من القصيدة، إصراراً منه على ترسيخ صورة الحرص على الوطن والخوف عليه من الظلم في ذهن المتلقي، سواء كان قارئاً أم مستمعاً.

وفي مطلع سبعينيات القرن الماضي، وبالتحديد في بدايات عام 1970، نشر الشاعر عريان السيد خلف قصيدته الشهيرة «ردي ردي»، التي شكّلت بمثابة جواز سفر شعري أتاح له الدخول بقوة إلى الساحة الأدبية الشعبية. فقد كان الوسط الشعري الشعبي في تلك الحقبة شديد التذوق، صعب الاختراق، لكثرة شعرائه وثراء تجاربهم، بحيث لم يكن من السهل على شاعرٍ ناشئ قادم من مدينة الناصرية أن يشق طريقه بين الكبار في بغداد، ويتجاوز الأسماء الراسخة دون جهد استثنائي. (عريان السيّد خلف، 1998: ص9)

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

إلا أن عريان استطاع أن يجد موطئ قدم راسخ له، خصوصاً بعد أن اتخذ من مدينة الثورة في بغداد مقراً لإقامته، وهي المدينة التي تمثّل مركزاً رئيسياً للشعر الشعبي العراقي، ومَن قَبِلَهُ أهلها شاعراً فقد قَبِلَهُ كل العراق. فالشعر الشعبي كان بالنسبة لأهل هذه المدينة الرئة التي يتنفسون منها الحياة.

وقد ساعد في انتشار عريان أيضاً أن أسلوب الشاعر مظفر النواب، في بناء القصيدة الحديثة، بدأ يفرض حضوره على جيل السبعينيات، إلى جانب شعراء الريادة الآخرين مثل شاكر السماوي، كاظم الرويعي، مجيد جاسم الخيون، وغيرهم. كما كان شعر كاظم إسماعيل الكاطع و«أبو سرحان» (ذياب كزار) وغيرهم يتداول بكثرة في الأوساط الشعبية.

ولعل ما سهّل تقبّل عريان في هذا الوسط، إضافةً إلى شاعريته الفذّة، هو انتماؤه الفكري واليساري، مما جعله قريباً من التيارات التقدمية التي تبنّت صوته. غير أن هذا الانتماء السياسي لا ينتقص أبداً من قوته الشعرية، إذ تميّز أسلوبه بجمالية الصور، وفرادته في اختيار المفردة الشعبية، خاصة تلك الموغلة في اللهجة الجنوبية العراقية التي نشأ وترعرع عليها. وقد أجاد تجسيد هذه المفردات بتلقائية عالية، تعكس وعي الناس البسطاء وما يُعرف بـ الحسجة الجنوبية، وهي لهجة تحمل بين طياتها مضمرات شعبية قد يصعب فهمها على أبناء بعض المناطق العراقية

ويقول في قصيدته:

ردي ردي
ياظعن شت عن هله....وحداي غربه البيه يحدي
ردي....ينباع العشك
وليا قلب تهوين صدي
لا تهيجين الجروح...
اجروحي من تتلجم تدي
وانه من دم ولحم...مو من صخر
جبدة العندي
ردي..مليت الصبر
وامكاطر الدمعه على خدي
وانه خلاني الوكت ناعور
بس اترس وابدي

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

جورت ليل الصبر...واعجزت عنه
وهذا حدي
بتجي من يغفه الجفن
ما جلمة التنكال بعدي
انه موش اول زند.....يشتل شلب
ويحصد بردي
ولانه بس اتغربة....والمعتنيله يصير ضدي
ردي ردي
مالي حيل امعاتبج
وانا العليج اديت جهدي
غلست عن الكلت والكال
كمت اسمع وعدي
والله جا مل وجزع لو قصتي
على ايوب تسدي
ردي..انه مو طبعي العتب
علما حلاله ايصون عهدي
ويا رخص ذاك الجدم
كون اعله ياهو الجان يبدي
ردي ردي
يالهويتي بلا وجاد...انوب من تهوين وجدي
وانه خلاني الوكت ناعور بس اترس وابدي
وانه خلاني
الوكت
ناعور
بس اترس وابدي

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

لقد لعبت الصحافة والإعلام دوراً محورياً في تقديم الشاعر عريان السيد خلف إلى الوسط الأدبي والفني. فقد أُذيعت له العديد من القصائد في الإذاعة العراقية ضمن برنامج «مع الشعر الشعبي» الذي كان يقدّمه الشاعر أبو ضاري. كما بدأت الصحافة المحلية، ولا سيما الصحافة اليسارية، بنشر نصوصه والتعريف به.

ومع مرور الوقت، وجد الملحنون والمطربون في قصائده مادة غنية للألحان، فغنّى له المطرب سعدون جابر قصيدة «تلولحي بروحي»، كما تغنّى بكلماته فؤاد سالم ورياض أحمد، وأدى ألحانه آخرون مثل كريم منصور وعبد فلك ومحمد عبد الجبار، وغيرهم من الأصوات الفنية المعروفة. ولم يقتصر حضوره على الغناء فقط، بل شارك أيضاً في مهرجانات شعرية عديدة.

إلا أن عريان ظلّ عرضة للتضييق والملاحقة من قِبل الإعلام الرسمي للدولة، بسبب تعارض مواقفه مع توجهات حزب البعث السياسية. وقد بلغ الأمر حدّ إنذار وإغلاق جريدة «طريق الشعب»، الناطقة باسم الحزب الشيوعي العراقي، في منتصف عام 1978، بعد أن نشرت له قصيدته الشهيرة:

«الشجر يثبت شجر والخاوية اتطيح».

كما تعرّض للاعتقال أكثر من مرة، وأُجبر على توقيع تعهد بعدم الانتماء لأي حزب سياسي. لكن رغم هذه الضغوط، كانت قصائده تتناقل بين عامة الناس، خصوصاً في أوساط مدينة الثورة، لتتحول إلى صوتٍ يتحدّى سلطة البعث السياسية والإعلامية. وقد ساعد هذا الانتشار الواسع على تعزيز مكانته الشعرية داخل العراق، وجعله رمزاً فنياً معارضاً.

وفي المقابل، كان عريان يواصل العمل على تطوير أدواته الشعرية بإبداع خاص، إذ اتجه إلى كتابة قصائده بأسلوب مميز يعتمد على القافيتين والوزن الواحد، وهو ما أطلق عليه تسمية «الأندلسي»، ويُعرف في العراق بـ «النصّاري». وقد صاغ معظم قصائده السياسية على هذا النمط، حتى أصبح علامة فارقة ارتبطت باسمه، وسار على خطاها عدد من الشعراء من بعده. ومن أبرز الأمثلة على ذلك قصيدته المعروفة التي يقول فيها:

گصرن ياحسافه وماخذن ثار...
وصل بيهن گصرهن حد ألمتون...
يمكن چانن ولاذن حدر ألكتار...
ولاووهن ألچانوا عيب يلوون...
مامسحن دمع وألدمع مدرار...

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ألما وصلن ألخدي يمسحن أشلون...

لقد طبع عريان السيد خلف معظم قصائده بهذا الأسلوب الجديد، حتى غدا علامة مميزة له، ثم سرعان ما انتشر على مساحة واسعة من العراق، وبدأ الشعراء الآخرون يحاولون تقليده في النظم والتعاطي مع القصيدة. لكنهم لم يبلغوا مستوى ما وصل إليه هو من حيث البناء والسبك والمعنى والمفردة. وقد لاقت هذه الطريقة في نظم القصيدة قبولاً منقطع النظير، لأنها كانت تعتمد على وزنٍ إيقاعي سهل وبسيط، يتيح إمكانيات كبيرة للتلحين والغناء. ويُعرف هذا الوزن في العراق باسم النصّاري

من جهة أخرى، اتجه عريان إلى استثمار المفردات الشعبية الموغلة في القدم، ليمنحها بعداً ثقافياً جديداً من خلال الاستخدام الشعري. وهكذا أحيا الكثير من الألفاظ التي كانت مهددة بالاندثار، وهو ما جعل شعره قريباً ومحبوباً من مختلف طبقات المجتمع العراقي

لقد أخذت تجربة عريان الشعرية تتطور مع مرور الزمن، وسط قلق دائم كان يدفعه إلى البحث عن الأفضل والأكمل. فقد كان يرى نفسه شاعراً حداثياً في الشعر الشعبي، يقترب في تجربته من الشاعر الكبير مظفر النواب، رائد الحداثة الشعرية في العراق. وهذا القرب فرض عليه ضرورة أن يكون في مستوى التحدي لمكانة النواب، وهو ما شكّل له دافعاً داخلياً للقلق والحرص المتواصل على إثبات قدرته.

من هنا، بدأ عريان أكثر التزاماً بـ تشذيب قصيدته من كل الزوائد والحشو، مدركاً تماماً مسؤوليته في تطوير القصيدة الشعبية، سواء بدافع المنافسة أو من وازع الحضور الإبداعي. كما كان حريصاً على الحفاظ على رواج القصيدة "العريانية" في الوسط الثقافي.

وقد شكّلت قصيدته «گبل ليلة» منعطفاً حاسماً في مسيرته الشعرية، لأنها جاءت بمثابة مرحلة مفصلية في تطور القصيدة الشعبية لديه من حيث الشكل والبناء والموضوع. وسنحاول هنا قراءة هذه القصيدة قراءة تفصيلية، للوقوف على تجربة الشاعر عن قرب، والكشف عن أعماقها ويقول عريان في هذه القصيدة:

هلي
كتبتلكم مكاتيبي على وركات دفتر البافرة
وضمّيتهن لمن يصحّ الطارش الي يوصلهن..
وما صحّ الطار ش
ومن المامش

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

كظن وحدة وره الاخرى
دخان ترس صدري
وعلى واهسكم
خبطنا الماي الازرك
طالبين بدين واعرض دينه
وعلى واهسكم
لكينا الكصبة كعبة
نزور حزها ولو سفاهة بعينه
وعلى واهسكم
عرفنا الموت الاول
واستحى
وعينه انثنت من عينا
وجان ليل الخوف لفحة ريح شتوة
ولو شبجنا الكاع يعرك ليلنا
هاذبين

المقدمة النثرية لقصيدة «گبل ليلة» ترسم لنا لوحة إنسانية وسياسية لرجل ينتمي إلى طبقة الفلاحين. هذا الرجل هو أبو محيسن، أحد فلاحي مدينة الناصرية، الذي أودع في سجن نقرة السلمان الشهير، ذلك السجن المخصص للسجناء السياسيين ومعظمهم من المنتمين إلى الحزب الشيوعي العراقي، والواقع في محافظة المثنى على الحدود العراقية–السعودية.

لم يكن لدى أبي محيسن داخل السجن سوى دفتر من أوراق لف السكائر (المعروفة في العراق باسم ورق بافرة)، التي كانت شائعة الاستخدام في جنوب العراق خلال الخمسينات والستينات. وعلى هذه الأوراق الصغيرة كان يدوّن خواطره ويبعثها إلى أهله.

وهنا يلتقط الشاعر عريان السيد خلف هذه الحالة ببعديها:

أولاً: كلمة «أهله» قد تعني رفاقه في التنظيم الحزبي الذين يتقاسم معهم المصير ذاته.

ثانياً: تعني أيضاً أهله الحقيقيين – عائلته وذويه – الذين ينتظرون أخباره خارج أسوار السجن.

ثالثاً: يمكن أن تنسحب الدلالة لتشمل كل الأصدقاء والمؤازرين له ولحزبه.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

بهذا التوصيف، يرسم عريان مشهداً مكثفاً للانتماء والالتزام، ويمنح المفردة الشعرية قوة إيحائية متعددة الوجوه. فهي ليست كلمة أحادية الدلالة، بل مفتوحة على أكثر من معنى، وهو ما يشكّل إحدى خصوصيات التجربة الشعرية لدى عريان السيد خلف

في هذا الموضع، أراد الشاعر عريان السيد خلف أن يعبّر عن موقفه السياسي بوضوح، ففعل ذلك من خلال هذه القصيدة التي يُعتقد أنها كُتبت في عام 1973، على شكل قصيدة طويلة اقترب فيها من الأسلوب والمضمون الذي اتّبعه مظفر النواب في قصيدته الشهيرة "حجام البريس". فالتشابه بين العملين واضح من حيث الأجواء العامة، والبنية الموضوعية، والمكان الجغرافي، وحتى في اختيار شخصية البطل ذي الخلفية الشيوعية. (دخيل، 2023: ص2)

لكن الفارق أن مظفر النواب كان قد سبق عريان في هذه التجربة، حيث شارك فعليًا في النشاط السياسي داخل بيئة الأهوار، وكتب قصيدته في عام 1970، بوصفه شاهدًا مباشرًا على تلك المرحلة. ولذلك، فإن من يقرأ القصيدتين سيسترجع دون شك ملامح تلك البيئة وظروفها، لكن مع ملاحظة مهمة: النواب كان جريئًا في نقده العلني للحزب الشيوعي العراقي، في حين أن عريان السيد خلف تجنّب توجيه أي انتقاد مباشر.

رغم أن حركة أنصار الأهوار التي تناولها عريان كانت تمثل الفصيل المنشق عن الحزب، والمعروفة باسم "القيادة المركزية"، إلا أن عريان بدا أقرب إلى موقف مهادن للجنة المركزية. ومع ذلك، فإن انحيازه للثوار كان واضحًا في القصيدة، التي تنضح بروح التأييد لهم.

ولم يكتفِ بذلك، بل كتب أيضًا قصيدة أخرى تناول فيها أحد المناضلين الذين كانوا يعملون "بلامة" (أي يقودون القوارب)، وكان هذا الرجل ينقل الأنصار بين مناطق الأهوار، وصولًا إلى الحدود المائية بين العراق وإيران، وتحديدًا في منطقة هور الحويزة. وكان يُعرف في تلك المناطق باسم "المعيبر"، واسمه "عبد". وقد حملت القصيدة عنوان "المعيبر عبد"، وعبّرت عن بطولته وتضحياته، من خلال وصف حياته ودوره في دعم الثوار وسط تلك البيئة المائية المعروفة باسم الأهوار.[1]

يقول عريان في جزء من هذه القصيدة:

عبد ستر قميصه، اعله اليعبرون
وشعل روحه ابدربهم يكشف الليل
وفرش جفنه السمح عن لا يعثرون
وتنزر يغلب السابح على الريح

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ويحومر منتشي ابطور اليغنون
تمايز نخوته
وصوته وهوى الناس

بعيدًا عن المواقف السياسية التي عُرف بها الشاعر عريان السيد خلف، نلاحظ أن أسلوبه الشعري لم يكن بمنأى عن تأثيرات الحداثة الشعرية التي أسس لها مظفر النواب، إلا أن عريان بقي يتأرجح بين الشعر الحديث والنظم الكلاسيكي المقفّى. ومع أن هناك محاولات لتبني الحداثة، فإن ميوله كانت أوضح نحو النمط التقليدي، حيث بدا هذا الطابع متجذرًا في شخصيته الشعرية، وسمته الأصيلة التي طبعت غالبية نتاجه الأدبي.

وقد أشار النقاد إلى أن هذا التوجه الكلاسيكي في شعره لم يكن مجرد تقليد، بل كان يحمل طابعًا إبداعيًا خاصًا به، خاصة وأنه استطاع أن يقدم هذا الأسلوب بشكل مختلف عن المعتاد. وبينما كانت قصائد الحداثة تحظى بجمهور محدود، وجد شعر عريان . في صيغته الكلاسيكية . رواجًا واسعًا بين شعراء ومتذوقي الشعر الشعبي في العراق، فاختار أن يُرسّخ هذا اللون، وكرّسه عبر أسلوب نظمي أصبح مدرسة قائمة بذاتها. (الأمارة، 2007: ص5)

وكان من أبرز تجلياته الإبداعية اعتماده نمطًا خاصًا في الكتابة الشعرية يُعرف في العراق بـ"النصاري"، وهو شكل شعري يُبنى على قافيتين ووزن واحد، يُعرف وزنه بتفعيلة "مفاعيلن، مفاعيلن، مفاعيل"، واستمر تأثير هذا اللون الشعري من منتصف سبعينيات القرن الماضي حتى اليوم. ومن النماذج البارزة على هذا الأسلوب قصيدته التي كتبها عام 1975 والمعروفة بعنوان "جية العيد"، والتي يقول فيها:

يناهي الشوگ ذمه.. او ذات من ذات
وفرق مابين حالي وحالك ابعيد
سنه.. اوصدگ يضوك الروح لوعات
او يجملي الجروح اجروح ويزيد
أبات ابحضن صبري إليال ويبات
جرح يصحه.. وجرح متغصب ايهيد
وأكول: إشوالف السرحان للشاة
إعله سجه او گاوداه الإيد بالإيد

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

إلك جانت يحلو الطول جيات
عجب تبخل علينه إبجية العيد.

ومن يقرأ هذه القصيدة يلحظ بوضوح بنية "النصاري" المعتمدة على القافيتين (الدال والتاء) والوزن الواحد، الذي من خلاله حافظ الشاعر على اتساق القصيدة وتماسكها. ومن الصعب على غيره من الشعراء أن يجاروه في هذا النوع من النظم، إذ أنه يتمتع بقدرة عالية على تطويع هذا الشكل الإيقاعي بما يخدم المعنى ويثري التجربة الشعرية.

وليس هذا النمط وحده ما يُجيده عريان، بل هو متمكن أيضًا من أشكال متعددة من النظم الكلاسيكي، كما يتضح في قصيدته الشهيرة "الجثة والدود"، التي تظهر بجلاء عمق تجربته، وقدرته على توظيف الفكرة داخل قالب فني رصين، بلغة تنبض بالحياة ومفردات تنتمي إلى بيئته الشعبية الأصيلة. فقد نجح في استخدام هذه المفردات بذكاء ووعي، فبدا كأنه يوقظها من سباتها ويمنحها حياة جديدة داخل إيقاع شعري يأسرك ويأخذك إلى عوالمه الخاصة. وهذا ما يُعرف بأسلوب "السهل الممتنع"، الذي تميّز به عريان السيد خلف، والذي يجعل من تجربته الشعرية تجربة فريدة في الشعر الشعبي العراقي. (المدى، 2024: د.ص)

من أبرز ما يميز شعر عريان السيد خلف هو تلك الفرادة التعبيرية التي تمنح القارئ أو المستمع شعورًا بأن الشاعر يتحدث بلسانه، ويعبّر عن مشاعره وهمومه بشكل جميل ومؤثر. وهذه القدرة على تمثيل وجدان الجمهور تُعد من السمات البارزة في شاعريته العالية ضمن مسار الشعر الشعبي العراقي، وهي ما جعله يحظى بجماهيرية واسعة ويتخطى الحدود الجغرافية الضيقة.

لقد تجاوز عريان فضاء العراق الشعري، ووصل صوته إلى بلدان عربية عديدة، حيث يُقرأ شعره وتُسمع قصائده، بل ويُدعى إلى مهرجانات شعرية عربية ودولية. يعود هذا الانتشار الكبير إلى حرصه المستمر على تطوير قصيدته، والاهتمام ببنائها الفني، وعمقها الدلالي، وصورتها الإيحائية الجاذبة، التي تأسر المتلقي وتشده إليها بقوة.

ومن أبرز القصائد التي كتبها عريان في مرحلة مبكرة من حياته الشعرية، قصيدة "الجثة والدود" التي كتبها عام 1970، والتي يقول فيها:

تنيتك عود.. نيشان العطش بيه
اوْ عَلَه.. المامش اهروشي اتجود
الوذ ابشيمة العاكول.. واصعد على الآه اصعود

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ومراوح يعمر اجفاك جرح ايصيح.. او جرح يهود
او تنيتك.. وانته ميت شوگ.. ظنه اعله اليموت ايعود
طاحت و شيردها اردود اتاني الود.. يدمعة عين
واشعزه الدمع بالعين، لو شح ساعة المنكود
خليني اعله بالك.. طيف لو عادت أيامي يعود
او خليني اويه دمك شوگ.. من شوكي البلايه إحدود
ومحالل بعت وشريت بيهن والعمر معدود
او مو ندمه الغزالة اتطيح صيدة بشبحة الصايود
لاجن يالعزيز الحيف ع الصايد يكع مصيود
لو ذيج الليالي تعود..
او لو شطنه الجزر يومين خنياب ويرد صيهود
جنت اصرخ: يهل الغراف ما تغسل اكلوب السود
وتشلبه اعله سور الغيض لو باب العتب مسدود
وكبالك وفك الروح من حبل الوفه المعكود
وتكتر ولك دنياك.. خل تنگص او خل تزود
واتصبر.. يكلبي انعيش تتواكد واكلك هود
دنياتك نحيسة عين.. والوادم خلية جود
وصوابك يجرح الآن كل أن التالي

تتميّز هذه القصيدة باستخدامها المفردات السهلة والبسيطة، لكنها في الوقت نفسه تحمل في طيّاتها معاني عميقة ودلالات غنية. ما يُلفت في هذا النص هو البنية المحكمة للنظم الكلاسيكي، والوزن المتناغم، والقافية الرنانة التي تنسجم تمامًا مع إيقاع القصيدة، مما يمنح النص جمالًا تنظيميًا متكاملًا. عريان السيد خلف لا يكتفي بهذا الجمال الظاهري، بل يضيف إليه بُعدًا آخر يتمثل في أسلوبه الإلقائي الساحر، والذي يُجبر المستمع على الإنصات بكل حواسه، وليس فقط بأذنه. (سعيد، 2019: ص10)

هذا الحضور القوي في الإلقاء، إلى جانب مهارته النظمية، يجعل من عريان شاعرًا قادرًا على التأثير الكامل بالجمهور، إذ يشدّ الانتباه ويحفّز الحواس ويُنشّط الذهن، ليُوصل فكرته إلى المتلقي بسلاسة وعمق في آنٍ معًا. وهذه القدرة تُعد سمة واضحة من سمات تفرّد عريان في الشعر الشعبي.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

وبفضل هذه الخصائص الفنية، استطاع شعر عريان أن يخترق جدران البيوت، ويتسلل إلى النفوس دون عناء، حتى أصبح مألوفًا ومحبوبًا لدى مختلف فئات المجتمع. هذه الانتشارية منحته القدرة على توظيف شعره في الميدان السياسي، لكن بأسلوب غير مباشر، بعيد عن التصريح الفج، فهو يُضمّن قصائده رموزًا وإشارات ومفردات شعبية تحمل أكثر من معنى، ما يدفع المتلقي إلى التأويل والتفكير في أبعاد النص دون أن يبتعد الشاعر عن أصول النظم الكلاسيكي. (صاحب، 2019: د.ص)

رغم ذلك، فإن بعض قصائد عريان جاءت بصيغة سياسية أكثر وضوحًا، كما في قصيدته "عتاب لعبد الكريم قاسم" أو "الشجر يثبت شجر والخاوية إتطيح"، وغيرها.

ومن الجدير بالذكر أن عريان لم يلتزم بأسلوب واحد في طرح موضوعاته السياسية، بل استخدم أساليب وأنماط مختلفة تتناغم مع بيئات متعددة كالريف والبادية والمدينة، ما يدل على وعيه الكبير بوسائل إيصال الرسائل الشعرية للجمهور. وبما أنه شاعر يساري، فإن القارئ بطبيعته يفسّر الكثير من قصائده في الإطار السياسي، حتى وإن لم يكن ذلك ظاهرًا بشكل مباشر، وهذا التأويل مقصود أحيانًا من قبل الشاعر، لأسباب منها:

الرغبة في تجاوز رقابة النشر والرقابة السياسية.

السعي للتميّز بأسلوب خاص عن بقية الشعراء.

إثبات قدرته الشعرية بأسلوب فريد ومميز.

ترك بصمة شعرية تشير إلى فرادته وتميّزه.

وفي قصيدته المعروفة "لا تتمنه"، نجد مثالًا حيًّا على هذه المزواجة الذكية، حيث يدمج فيها بين ثقافة المدينة والريف والبادية، ويختار وزنًا شعريًا له حضور واسع في تلك البيئات. ورغم أن هذا الوزن أكثر انتشارًا في البادية، ويشبه من حيث الإيقاع أسلوب "الميمر"، إلا أن البنية الكلاسيكية للقافية تتناغم مع "لازمة القصيدة"، ما يمنح النص إيقاعًا موسيقيًا واضحًا يجعل القصيدة تُلامس الإحساس وتُحدث أثرًا عميقًا في النفس.

يمدلل.. يبو اتراچي ذهب.. وعيون خطافات
يالماتت الدنيا.. وواهسك ما مات !!
بين احلى غزاله وإبن ذاك الحيد
يا عربيد..
شو صاير تزل لو راد واوي يصيد !؟

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

إي.. ايه إي.. ايه

الدنيه درب نمشيه.. ابكل ما بيه...

والزين الذي يكدر يقاوم بيه.

في البيت الأول "يمدلل يبو اتراچي ذهب وعيون خطافات"، يُشار بشكل رمزي إلى الحزب الشيوعي، حيث يُصوّره الشاعر باعتباره كيانًا جميلًا ونبيلًا. أما بقية الأبيات، فتشير إلى حالة التذبذب أو غياب الثبات في المواقف السياسية، فيسأل: لماذا لا يتمسك الحزب بموقف صلب وثابت؟ ولماذا يخضع لضغوط الآخرين؟

وفي السبعينيات، كتب عريان السيد خلف قصيدة بعنوان "نذر"، وهي من القصائد التي لاقت رواجًا واسعًا، لما للشعر الشعبي من تأثير قوي في تلك المرحلة، سواء على المستوى النفسي أو الاجتماعي. فقد كان الشعر، وبخاصة الشعبي منه، لسان حال الناس، وصوت الفئات المختلفة من أبناء المجتمع، أولئك الحالمين بالتغيير، والمنتمين لقيم العدل والحرية. (عريان السيّد خلف، 1974: ص1)

لقد كانت القصائد الشعبية . ومنها "نذر" . تُلهب المشاعر، وتوقظ في النفوس روح التحدي والكرامة، كما تُذكّر بمواقف البطولة والمآثر الوطنية الراسخة في الوجدان الشعبي. يقول عريان في بعض أبياتها:

ادگ روحي نذر للجايب بشارة

وارجه اعله الجروح المالهن چارة

جرح ينزف.. جرح باني اعله بسمارة

خجل.. والما يخاف اللوم يرضه بذلته وعاره

في الأبيات التالية من قصيدة "نذر"، يستمر عريان السيد خلف في تصوير واقع الإنسان العراقي الذي يعيش في معاناة مستمرة، محرومًا من الأمل والاستقرار، حيث يقول:

يالمبشر متى المكصوص جنحه يطولن اگصاره

ومتى.. العايش غريب يأمن ابداره

يالمبشر ممحله الروح غيمك عزت امطاره

او چثيره الما يهزها الضيم.. چن اگلوبها حجاره

ولو.. لذة عشيج الموت.. گلبه يموت بسراره

لچن.. شانت على المذبوح... دمه يضيع فجاره

هلبت مات جيفارا..؟

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

او هلبت هوشي منه انكطعت أخباره..؟

**عمت عين الوجاغ الما تشب ناره.

في الأبيات الأولى، يتجلى الألم الجمعي لشعب يعيش غريبًا في وطنه، حبيسًا لأحلام لا تتحقق، وأجنحة لا تقدر على الطيران. كما تشير الأبيات: "هلبت مات جيفارا..؟ أو هلبت هوشي منه انكطعت أخباره؟" إلى انتماء الشاعر الواضح للفكر اليساري، وتحديدًا للحزب الشيوعي، وذلك من خلال استحضار رموز نضالية مثل جيفارا وهوشي منه، بوصفهم رموزًا للثورة والمقاومة

وفي عام 1991، كتب عريان السيد خلف قصيدة بعنوان "القيامة"، وجاءت هذه القصيدة لتصف حجم الدمار والمأساة التي لحقت بمدينة كربلاء خلال الانتفاضة الشعبانية في وسط وجنوب العراق. وكما يدل عنوانها، فإن القصيدة تمثّل مشهدًا كارثيًا، يصوّر المدن وكأنها في يوم القيامة، حيث القصف العشوائي، والجدران المنهارة، والأبواب المفتوحة على مصراعيها، والأطفال القتلى، والنساء الصارخات، والضحايا الممدّدين في الشوارع.

لقد اعتبر الشاعر هذا المشهد مروّعًا لدرجة أنه يتجاوز حدود المعقول، ولا يوجد حتى في الأساطير. يقول في بعض أبياتها:

الحيطان منخل والدروب حفور

والبيبان صرخه بلا صدى ولاصوت

في يوم 6 تموز 2017، ثاني أيام عيد الفطر، تعرّض الشاعر عريان السيد خلف لحادث سير على جسر سريع محمد القاسم في بغداد، نُقل على إثره إلى مستشفى الكندي، ثم إلى مستشفى الجملة العصبية، وبعد ثلاثة أيام أُحيل إلى مستشفى الشهيد غازي الحريري في مدينة الطب. مكث هناك قرابة أربعة أشهر تلقى خلالها العلاج حتى بدأ يتماثل للشفاء، ليعود تدريجياً إلى حياته الطبيعية، لكن بقيت آثار الحادث الجانبية حاضرة في صحته

ومع مرور الوقت، تفاقمت حالته الصحية بسبب التدخين المفرط وتقدمه في السن، إذ أصبح جسده غير قادر على مقاومة الإجهاد، مما أدى إلى فقدانه للوعي بشكل مفاجئ. وفي يوم الأربعاء، المصادف 5 كانون الأول 2018، فارق الحياة في مدينة الطب ببغداد نتيجة وعكة صحية حادة ونزيف في الدماغ. وقد شُيّع جثمانه بحضور واسع من الشعراء والمثقفين وأبناء المجتمع العراقي.

أثارت وفاته موجة حزن عميقة في الأوساط الثقافية والشعبية، حيث أُقيمت له مئات مجالس العزاء داخل العراق وخارجه، واستمرت هذه المجالس لعدة أشهر ، وشملت العديد من البيوت والمجالس الخاصة في المدن العراقية المختلفة

وكان عريان قد جسّد رؤيته للموت في قصيدته المعنونة "هذا الموت"، حيث عبّر عن فلسفة وجودية عميقة تجاه المصير الإنساني:

هذا الموت جسر للا نهاية اعليه كلنه نفوت
هذا الموت هاجس يبتدينه بلحظة التكوين
ويرافگنه العمر من غير ضجة وصوت
عله جف المنايه مشردغين انام
ونركض عله الدنيه ونبني بيها بيوت
ونتعافه ونذم بالخلك هذا وذاك
وعله غفلة وزرگ جدامنه التابوت

وفي مقطع آخر من نفس القصيدة، يقول:

حاضر وأربعينك بعد ما حلت
وروحك يالعزيز بروحنه انشدت
بالحاضر عزاك اتعزي المعزين
وتسكت الناعي العبرتة احتدت
يا عصر الفواتح يا زمان الموت
كافي من الذبح مو ناس ما ظلت
ضاگت گاعنه من اگبور فوگ اگبور
وفوگ اگبور اهلنه اگبورنه أتعلت
كل يوم بهبية وكل صباح بويد
مثل سف الحصير الزلم تتسلت

تتألف القصيدة من مقطعين زمنيّين مختلفين قام الشاعر لاحقًا بدمجهما في نصٍ واحد. ففي المقطع الأول، يعالج الموت كحقيقة وجودية لا مفر منها، ترافق الإنسان منذ لحظة تكوينه وحتى لحظة فنائه،

كما يتناول جانبًا اجتماعيًا من النقد والذم الذي يتعرض له الإنسان في حياته. (عريان السيّد خلف، د.ت: د.ص)

أما المقطع الثاني، فقد كُتب في سياق سياسي، بعد سماع الشاعر خبر وفاة أحد مناضلي الناصرية الذي كان معتقلًا في سجون نظام البعث، ويُلمّح فيه إلى طبيعة الموت الفجائية، وإلى المعاناة التي خلفها النظام الدكتاتوري من قمع، وفقر، وحرمان، وغياب العدالة. وتشير الأبيات إلى أن الموت بات واقعًا متكررًا، وأن الظلم أدى إلى فقدان المئات لحياتهم دون أن تُخلّد ذكراهم، في ظل جهلٍ ممنهجٍ ينخر الوعي الشعبي.

الخاتمة

تُشكّل تجربة عريان السيد خلف في الشعر الشعبي العراقي نموذجًا فريدًا ومتميزًا يجمع بين الإيقاع الكلاسيكي وروح التعبير الشعبي الذي ينبض بقضايا الإنسان وهموم المجتمع. من خلال دراسته، يتبيّن كيف استطاع الشاعر أن يُوظف الأوزان والقوافي الكلاسيكية بشكل إيقاعي متناغم يخدم المعنى، ويرسخ بذلك حضورًا شعريًا أصيلًا يتخطى حدود المكان والزمان. كما يعكس شعر عريان بوعي عميق واقعًا اجتماعيًا وسياسيًا متشابكًا، مما يبرز دوره كصوت شعبي يحمل هموم الناس ويشاركهم نضالهم من خلال لغة شعرية تجمع بين البساطة والعمق.

إن دراسة هذه التجربة تؤكد على أهمية الشعر الشعبي كمرآة للمجتمع ووسيلة للتعبير السياسي والفكري، خصوصًا في السياقات التي تفرض قيودًا على حرية التعبير المباشر. لذلك، تبقى تجربة عريان السيد خلف نموذجًا يستحق المزيد من البحث والتنقيب لإثراء المكتبة الأدبية العراقية والعربية، وإبراز الدور الحيوي الذي يمكن أن يلعبه الشعر الشعبي في بناء الوعي الثقافي والسياسي.

الاستنتاجات

المزواجة بين الكلاسيكي والشعبي: أثبت عريان السيد خلف قدرته على مزج الوزن والإيقاع الكلاسيكي مع لغة ومفردات الشعر الشعبي، مما أضفى على نصوصه جمالية فنية خاصة وسهولة وصول للجمهور.

التعبير عن هموم المجتمع: تميز شعره بعمق التجربة الإنسانية والاجتماعية، حيث عبّر عن معاناة الإنسان العراقي في ظل القمع السياسي والظروف الاقتصادية الصعبة، ما جعل شعره صوتًا لمختلف الطبقات الاجتماعية.

التأثير السياسي الضمني: وظف الشاعر الرموز والإشارات السياسية بشكل ذكي، مما سمح له بتجاوز رقابة النظام ومخاطبة وعي الجمهور دون الحاجة إلى التصريح المباشر.

التأثير الثقافي: نجح شعر عريان في تحقيق انتشار واسع داخل العراق وخارجه، وهو دليل على قدرة الشعر الشعبي في نقل الرسائل الثقافية والسياسية بفعالية عالية.

التوصيات

إجراء دراسات مقارنة: يُنصح الباحثون بدراسة تجارب شعراء شعبيين آخرين في العراق والوطن العربي لمقارنة الأساليب والتقنيات، بهدف فهم أوسع لدور الشعر الشعبي في التعبير عن القضايا المجتمعية.

ترجمة وتوثيق الأعمال: ضرورة ترجمة وتوثيق شعر عريان السيد خلف وغيره من الشعراء الشعبيين للحفاظ على هذا التراث وإتاحته لجمهور أوسع، خصوصًا الباحثين الدوليين.

تفعيل الدور الثقافي للشعر الشعبي: تشجيع الفعاليات والمهرجانات التي تبرز الشعر الشعبي وتوفر منابر للشعراء لعرض تجاربهم، مما يساهم في تعزيز الوعي الثقافي والسياسي.

المصادر:

[1] صباح ذي قار. صباح ذي قار، العدد (52)، 11 ديسمبر 2018م.

[2] مقابلة أجراها الباحث مع السيد خلدون بن عريان السيد خلف، 23 أكتوبر 2023م.

[3] السامرائي، مجيد. أطراف الحديث، قناة الشرقية، 16 أكتوبر 2013م. الرابط: https://youtu.be/tGswUXP_bRo?si=U0T3wUbMZN7wGOwP.

[4] حمزة، عباس. الطريق، قناة العراقية، 2 يوليو 2018م. الرابط: https://youtu.be/m6aa23B39ys?si=9wysm9cl4AmYkFbN.

[5] مجلة حراس الوطن، العدد (42)، تموز 1990م.

[6] العاني، طه. "عريان السيّد خلف عراب القصيدة الشعبية في العراق وشاعر البسطاء." الجزيرة نت، 5 ديسمبر 2020م. الرابط: https://www.aljazeera.net.

[7] الحلفي، جاسم. "عريان السيّد خلف وعلنية نشاط الشيوعيين في بغداد." طريق الشعب، العدد (84)، 13 ديسمبر 2018م.

[8] رومايا، نبيل. "وداعاً عريان السيّد خلف." قناة عشتار، 27 يناير 2019م. الرابط:

https://ishtartv.com/viewarticle,85705.html.

[9] عريان السيّد خلف. تل الورد. بغداد: مكتبة اليقظة العربية، 1998م.

[10] دخيل، كريم. لقاء مع عريان السيّد خلف، برنامج ندى ورود، قناة العهد، العراق، 26 أبريل 2023م.

[11] الأمارة، علي. "النسج الشعري في قصيدة الشاعر عريان السيد خلف." قناة الحوار المتمدن، 8 مايو 2007م.

[12] سعيد، خير الله. "عريان السيد خلف: الشاعرية المكتملة في الشعر الشعبي العراقي." قناة الحوار المتمدن، 22 يناير 2019م.

[13] عريان السيّد خلف. الگمر والديرة. بغداد: مكتبة الشطري، 1974م.

[14] عريان السيّد خلف. الأعمال الشعرية الكاملة. بغداد: مكتبة المجلة، د.ت.

[15] صاحب، سعد. "عريان السيّد خلف.. تل الورد العابق بالشعر." جريدة الصباح، بغداد، 17 ديسمبر 2019م.

[16] المدى، مقابلة، 14 أبريل 2024م.